Sayı-Issue:1
Cilt-Volume: 4
Haziran-June 2022◆Yıl:4

المدينة العثمانية وتجربة الانتقال إلى الاقتصاد التصديري بين القرنين (الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين)

The Ottoman City and The Experience of The Transition to Export Economy Between The Eighteenth and Nineteenth Centuries AD

Samir ALCHİKH ALİ

Mardin Artuklu Üniversitesi Sosyoloji Bölümü
shikhsa58@gmail.com
0000-0001-6422-276X

Araştırma Makalesi/Research Article

Makale Gönderim Tarihi

12/03/2022

Makale Kabul Tarihi

22/06/2022

Abstract

The importance of the research lies in shedding light on the experience of the Ottoman cities in the transition to the economy for export. Using the historical descriptive method in analyzing this experiment. The research consists of three sections:

1- Factors affecting the transition of the Ottoman cities to the export economy starting from the eighteenth century, we talked about the impact of the disintegration of the military feudal system in the Ottoman Empire at the end of the seventeenth century on the transition to the system of commitment to collect taxes in cash. We believed in the role of the high productivity of the land in the availability of a large surplus of agricultural production destined for external export, in addition to the availability of European gold and silver cash, which flowed in large quantities to the Ottoman cities, which led to a price revolution in the Ottoman cities.

2- The experience of the Ottoman cities in modernization and the transition to an export economy. So, we talked about the role of the new aristocracy in the landlords and merchants, who began to collect taxes from the states for their benefit and employ them in industry and foreign trade. Thus, the Ottoman cities witnessed a revolution in weaving and the production of fabrics for external export, and a complex network of Ottoman naval cities emerged, which dominated maritime trade in the southern and eastern Mediterranean.

- The role of the Ottoman reforms in the development of cities. We talked about the negative impact of the external debt crisis in the Ottoman Empire in 1871 on industrial and commercial work in the Ottoman cities, as the Ottoman Empire was forced to accept the conditions of Britain and France by imposing high taxes on Ottoman exports; In return for lowering taxes on European goods, [Resulting in the destruction of this industry in the Ottoman cities; And the role of European foreign capital began to appear in the economy of the Ottoman Empire, which focused on banks, land reclamation, and the development of railways, which began to be established during the reign of Sultan Abdul Hamid II, with the aim of linking the economy of the Ottoman states with the European economy. The emerging bourgeoisie in the Ottoman cities shifted from working in industry to foreign trade, and became a mediator between the European capital market and the markets of the Ottoman cities. Thus, the phenomenon of unilateral export economy began to form, with the Ottoman states specializing in agricultural production for one commodity, and this phenomenon remained until the late stage of the century twenty

-research results

1- The Ottoman cities benefited from the strong presence of the Ottoman state in the world stage, and witnessed a great industrial renaissance between the eighteenth centuries and the forties of the nineteenth century, and its products were invading European markets before the reverse transformation occurred after the Ottoman debt crisis.

2- The maritime trade cities played integrated roles with the industrial cities, and formed an integrated network of roles and functions in global trade.

3- Europe's preoccupation with the industrial revolution, and the competition between its countries, gave an opportunity for the emergence of a new bourgeois social class in the Ottoman cities, which contributed to the transition of the economy from consumption to export to foreign markets.

4-Despite the importance of the "Tanzimat" era in Ottoman modernity; However, the era of modernity began in the eighteenth century without external pressures, with a change in the pattern of administration, the tax system, and the relative independence of the Ottoman administration.

5- European foreign capital played negative roles in the second half of the nineteenth century, by eliminating modern industry in the Ottoman cities, and sought to link the Ottoman states to the European market in order to obtain raw materials and transform the Ottoman cities into a market for the export of its industrial products.

Recommendations and suggestions?

1- Turkish and Arab researchers and political decision-makers must re-read this experience, and benefit from its outputs; Looking at the region as an integrated geographical and economic unit, it possesses all the ingredients for advancing the establishment of a common free market for the elements of production (goods - capital - Laboure) that contribute to the renaissance of the peoples of this region.

2- Political decision-makers in Turkey and Arab countries should reconsider Arab-Turkish relations, From the perspective of the geopolitical, cultural and historical dimension of these relations, And getting rid of the political fragmentation imposed by European colonialism on Turkey and the Arab countries. The opportunity may now be available with the rise of new Asian powers such as China and India, where Turkey and the Arab countries can form between themselves an effective regional power in the international arena.

Keywords: Experience, City, Ottoman, Modernity, Capitalism

ملخص

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على تجربة المدن العثمانية في الانتقال إلى الاقتصاد من أجل التصدير. باستخدام المنهج الوصفي التاريخي في تحليل هذه التجربة. ويتكون البحث من ثلاث مباحث:

1- العوامل المؤثرة في انتقال المدن العثمانية إلى الاقتصاد التصديري بدءاً من القرن الثامن عشر: فتحدثنا عن أثر تفكك نظام الاقطاع العسكري في الدولة العثمانية مع أواخر القرن السابع عشر في التحول إلى نظام الالتزام في جمع الضرائب نقداً، وتوقفنا على دور الإنتاجية المرتفعة للأرض في توفر فائض كبير من الإنتاج الزراعي المخصص للتصدير الخارجي، إلى جانب توفر النقد الذهبي والفضي الأوروبي الذي تدفق بكميات كبيرة إلى المدن العثمانية، مما أدى لحدوث ثورة في الأسعار في المدن العثمانية.

2-تجربة المدن العثمانية في التحديث والانتقال إلى الاقتصاد التصديري، فتكلمنا عن دور الطبقة الارستقراطية الجديدة في من أصحاب المالكانة والتجار، الذين أصبحوا يجمعون الضرائب من الولايات لصالحهم ويوظفونها في الصناعة والتجارة الخارجية، هكذا شهدت المدن العثمانية ثورة في النسيج وإنتاج الأقمشة المعدة للتصدير الخارجي، كما ظهرت شبكة معقدة من المدن البحرية العثمانية، التي سيطرت على التجارة البحرية في جنوب وشرق المتوسط، 3-دور الإصلاحات العثمانية في تطور المدن، وتحدثنا عن الأثر السلبي لأزمة الديون الخارجية في الدولة العثمانية 1871 على العمل الصناعي والتجاري في المدن العثمانية، حيث اضطرت الدولة العثمانية لقبول شروط بريطانيا وفرنسا بفرض ضرائب مرتفعة على الصادرات العثمانية؛ مقابل تخفيض الضرائب على السلع الأوروبية، مما أدى إلى دمار هذه الصناعة في المدن العثمانية؛ وبدأ يظهر دور رأس المال الأجنبي الأوروبي في اقتصاد الدولة العثمانية، الذي ركز في المصارف واستصلاح الأراضي، وتطوير السكك الحديدية التي بدأ انشاؤها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، بهدف ربط اقتصاد الولايات العثمانية بالاقتصاد الأوروبي، فتحولت البرجوازية الناشئة في المدن العثمانية من العمل بالصناعة إلى التجارة الخارجية، فأصبحت تؤدي دور الوسيط بين السوق الرأسمالية الأوروبية وأسواق المدن العثمانية، هكذا فبدأت تتشكل ظاهرة الاقتصاد التصديري الأحادي الجانب، بتخصص الولايات العثمانية بالإنتاج الزراعي بسلعة واحدة، وبقيت هذه الظاهرة حتى مرحلة متأخرة من القرن العشرين.

-نتائج البحث

1-استفادت المدن العثمانية من الحضور القوي للدولة العثمانية في المسرح العالمي، وشهدت نهضة صناعية كبيرة بين القرنين الثامن عشر واربعينات القرن التاسع عشر، وكانت منتجاتها تغزو الأسواق الأوروبية قبل أن يحدث التحول العكسي بعد أزمة الديون العثمانية

2-أدت مدن التجارة البحرية أدواراً متكاملة مع المدن الصناعية، وشكلت شبكة متكاملة في الأدوار والوظائف في التجارة العالمية

3-إن انشغال أوروبا في الثورة الصناعية، والتنافس بين دولها، أعطى فرصة لظهور طبقة اجتماعية جديدة برجوازية في المدن العثمانية، ساهمت في انتقال الاقتصاد من الاستهلاك إلى التصدير للأسواق الخارجية

4-على الرغم من أهمية عصر التنظيمات في الحداثة العثمانية؛ إلا أن عصر الحداثة بدأ في القرن الثامن عشر بدون ضغوط خارجية، مع تغير تمط الادارة والنظام الضريبي والاستقلالية النسبية في الادارة العثمانية

5-أدى رأس المال الأجنبي الأوروبي أدواراً سلبية في النصف الثانية من القرن التاسع عشر، وذلك بالقضاء على الصناعة الحديثة في المدن العثمانية، وسعى إل ربط الولايات العثمانية بالسوق الأوروبية بهدف الحصول على المواد الأولية وتحويل المدن العثمانية إلى سوق لتصدير منتجاته الصناعية

-التوصيات والمقترحات؟

1- لا بد للباحثين وصناع القرار السياسي الاتراك والعرب من إعادة قراءة هذه التجربة، والاستفادة من مخرجاتها؛ بالنظر إلى المنطقة كوحدة جغرافية واقتصادية متكاملة، تمتلك كل مقومات النهوض لقيام سوق حرة مشتركة لعناصر الإنتاج (البضائع-رأس المال-اليد العاملة) تسهم في نهضة شعوب هذه المنطقة

2-على صناع القرار في تركيا والدول العربية إعادة النظر بالعلاقات العربية-التركية، من منظور البعد الجيوسياسي والثقافي والتاريخي لهذه العلاقات، والتخلص من التجزئة السياسية التي فرضها الاستعمار الأوروبي على تركيا والدول العربية. وقد تكون الفرصة الآن متاحة مع صعود قوى آسيوية جديدة مثل الصين والهند، حيث يمكن لتركيا والدول العربية أن تشكل فيما بينهما قوة إقليمية فاعلة في الساحة الدولية

كلمات مفتاحية: تجربة، مدينة، عثمانية، حداثة، رأسمالية

المقدمة

1-أهداف البحث

يمكن إيجاز الأهداف النظرية والعملية للبحث بما يلي:

1-التعرف على العوامل الذاتية في تجربة المدن العثمانية في الانتقال على الاقتصاد التصديري

2- تسليط الضوء على تجربة المدن العثمانية في التصنيع والانتقال إلى الحداثة الرأسمالية

3-معرفة دور العامل الخارجي الأوروبي في القضاء على هذه التجربة

4-تحفيز الباحثين وصناع القرار العرب والأتراك للاستفادة من هذه التجربة في إعطاء أولوية لعلاقات التعاون الاقتصادي بين الدول العربية وتركيا وتحقيق نوع من التكامل الاقتصادي بين تركيا والدول العربية

2-مشكلة البحث

مشكلة البحث مما لاشك فيه أن تجربة المدن العثمانية في الحداثة من التجارب الهامة، التي لم تأخذ اهتماماً كافياً من الباحثين للاستفادة من هذه التجربة، وسنحاول في هذا البحث تسليط الضوء على هذه التجربة في الانتقال إلى تحديث الاقتصاد والانتقال إلى الاقتصاد الحديث التصديري، فمع القرن الثامن عشر بدأت تظهر أدوار هذه المدن في الصناعة والتجارة الخارجية مع تفكك نظام الاقطاع العسكري، واستغل بعض الأمراء وأصحاب المالكانة ضعف الإدارة المركزية في استانبول، للاستقلال بإدارة المدن واستخدام ضرائب الميري في الصناعة والتجارة وظهرت عدة أسر ارستقراطية من طبقة الأشراف والتجار، التي وظفت أموالاً كبيرة في صناعة النسيج وفي التجارة الخارجية، وبدأت تتحول إلى التصدير للأسواق الأوروبية، مستفيدة من حاجة هذه الأسواق للأغذية والأقمشة والفرق الكبير بين الأسعار الداخلية والخارجية، وقد شجعت هذه الظروف الارستقراطية في المدن العثمانية للانتقال إلى الاقتصاد المعد للتصدير، قبل أن تظهر (أزمة الديون العثمانية) في عام 1875م وفرض الأوروبيين سياسات جمركية على الدولة العثمانية تتفق مع مصالحهم، أدت إلى القضاء على الصناعة المحلية وفتح أسواق المدن العثمانية أمام المنتجات الأوروبية، وجرى التحول إلى الاقتصاد الزراعي التصديري الأحادي الجانب بتخصص كل بلد عربي بنوع واحد من الانتاج الزراعي المعد للتصدير، وتحولت المدن العربية من العمل بالصناعة إلى دور الوسيط التجاري في تصدير المنتجات الزراعية بين بلدانها والسوف الأوروبية

3- تساؤلات البحث

يحاول البحث الإجابة عن التساؤل الرئيسي التالي: هل كانت المدن العثمانية تمتلك مقومات الانتقال الذاتي التصنيع والحداثة الرأسمالية؟ ويتفرع عن هذا التساؤل التساؤلات الفرعية التالية:

1-ما هو دور الإدارة العثمانية في انتقال المدن العثمانية إلى الاقتصاد التصديري؟

2-ما هي العوامل الداخلية والخارجية في انتقال المدن العثمانية إلى التصنيع والتجارة الخارجية؟

3-ما هو دور العامل الخارجي المتمثل برأس المال الأجنبي الأوروبي في اضعاف الدولة العثمانية واجهاض تجربة المدن العثمانية في اكمال الانتقال إلى المجتمع الصناعي والحداثة الرأسمالية؟

4-منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التاريخي، والمنهج المقارن بين المرحل التاريخية في التحليل الاقتصادي والاجتماعي للمعطيات الاقتصادية والأرقام الإحصائية لمعرفة التغير في أدوار ووظائف المدن العثمانية.

5-أهم المراجع والمصادر المستخدمة في البحث

1- تطور الرأسمالية في العالم العربي.(1988).برئاسة تحرير،غ.ك.شيروكوف، موسكو

2--العلاقات الاقتصادية الخارجية للإمبراطورية العثمانية في المرحلة المعاصرة/القرن الثامن عشر-القرن العشرين/.(1989).مجموعة مقالات برئاسة تحرير يوري،أ، بتروسيان، موسكو

3-The Economic History of Middle East 180-1914,.(1966). Edited by Charles Issawi, Chicago

4- Richard،Alan،n.(1978). Primitive a accumulation in Egypt (1748-1882) ;The Ottoman Empire and World Economy.Ed.by Huri Islamoglu Inan،New York

أولاً: العوامل المؤثرة في التحول للاقتصاد التصديري في المدن العثمانية

دخلت المدن العربية في عشرينات القرن السادس عشر تحت حكم الادارة العثمانية وقد شكلت الولايات العربية في هذه الدولة الجديدة نحو 3\1 الولايات، وحافظت الادارة العثمانية على البنى والتنظيمات الاجتماعية السابقة، واحتفظت لنفسها بالحق في تعيين كبار الموظفين في الإدارة من الولاة والقضاة ورؤساء دواوين المالية (الدفتر دار) الموكلين بضبط الخراج (الميري) إضافة لقادة الحاميات العثمانية الآغاوات، فقامت السلطة الجديدة بمصادرة أملاك الأرستقراطيات السابقة المماليك والصفويون من حكموا المنطقة، لتوزع هذه الأملاك على القادة العثمانيين من ضباط الانكشارية (الجيش الجديد) وضباط السباهية (الفرسان) وموظفي الادارة الكبار، وكان معنى الإقطاع بالمفهوم العثماني بأن صاحب الإقطاعية لا يعتبر مالكاً فعلياً للأرض، بل أمتلك الحق (باسم الدولة) بجمع الضرائب المستحقة عليها، الذي أتخذ تعبير (الميري) محل الخراج، وشمل الأقطاع جميع النشاطات الاقتصادية

(الزراعة-الحرفة– التجارة) وحتى القطاعات الخدمية كالخانات والأسواق، لكن صاحب الاقطاعة سواءُ أكانت أرضاً أو قرية أو مجموعة قرى أو سوق تجارية أو جمرك، عليه أن يرسل للخزينة المركزية 10% أو الخراج 30% ويحتفظ لنفسه بالباقي لصالح الانفاق على الإدارة في ولايته، فقد استمر الفلاح بزراعة الأرض واستثمارها ودفع الضريبة المستحقة للملاكين الذين يتناوبون عليها(الحصري، 1965، ص 17-21)

1-تفكك نظام الاقطاع العسكري العثماني

خلافاً للمرحلة السابقة من تاريخ الدولة العثمانية، التي تميزت بالطابع العسكري وقوة الدولة المركزية، والانشغال بالفتوحات التي وصلت الى البلقان وأروبا الشرقية واليونان، فمع بدية النصف الثاني من القرن السادس عشر، بدأ ضباط الإنكشارية ينجذبون إلى أعمال تتعارض مع واجباتهم العسكرية، كالصناعة والتجارة والمضاربة، وأصبح ارتباطهم بالمؤسسة العسكرية شكلياً، وصاروا يتغيبون عن الخدمة ولا يحضرون إلا عند استلام المرتبات النقدية(السالیانة) والعينية (العلوفة) (المرجع السابق،ص45) وفي القرن السابع عشر بدأ الصراع على مناطق النفوذ بين الأمراء، حيث سعى الضباط المتقاعدون(اليارلية) من ضباط الانكشارية لبسط نفوذهم والهيمنة عى الولايات الأخرى، هكذا فالنظام العسكري الصارم الذي بنيت على أساسه الدولة العثمانية بدأ يتفكك، وأصبح أفراده من الانكشارية، الذين تربوا على الانضباط والاحترام لقياداتهم يتمردون على السلطان وهذا ما يفسر تغيير الولاة المتكرر للحفاظ على هيبة الدولة، فقد جرى خلال مئة عام بين لقرن السادس عشر والقرن السابع عشر تغيير ولاة دمشق 138 مرة وحلب 76 مرة والقاهرة 76 مرة وولاية فارس 76مرة(العطار،1960، ص144). ومن ناحية أخرى استشعرت بعض الأسر الحاكمة في الولايات ضعف السلطة المركزية، وبإيحاء من ممثلي القنصليات الغربية، بدأت بالتمرد والانفصال عن السلطة المركزية في استانبول، فقد حاول فخر الدين المعني الثاني بن قرقماز في لبنان، الذي دعاه الطليان لزيارة ايطاليا وزار فرنسا للاطلاع على صناعة الأسلحة ونظام التعليم، الانفراد بحكم لبنان قبل إعدامه عام 1635، وحاول ضاهر العمر في فلسطين الانفراد بولاية عكا وصفد وطبرية بين عامي 1735-1746 وبسط نفوذه على فلسطين ولبنان وسوريا وتحالف مع علي بك الكبير؛ قبل ان يتم تصفية نفوذه عام 1775م، وفي مصر حاول محمد أبو الذهب وعلي بك الكبير التمرد على الدولة العثمانية بين عامي 1773-1775م قبل ظهور محمد علي باشا وانفراده بحكم مصر في عام 1805م.

2- تغير نظام الإدارة وطرق جمع الضرائب

مع أن شكل (الإقطاع) مقابل الخدمة بقي موجوداً جنباً إلى جنب مع الأشكال الأخرى لجمع الضرائب في عدد من الولايات في سوريا والعراق حتى القرن التاسع عشر، ففي مصر سمح السلطان العثماني سيلم الثاني في عشرينات القرن السادس عشر بجمع الضرائب عن طريق (الالتزام) وفي القرن السابع عشر أصبح جمع الضرائب يتم بنظام (الأمانة) بدلا من الالتزام، حيث تم جمع الضرائب من قبل الموظفين الكبار في إدارة الولايات العثمانية وإرسالها للخزينة في استانبول، فكانت مصر من أهم مصادر الحصول على القمح والضرائب في الدولة العثمانية حيث قدمت في عام 1675 تقدم 3/1 وارداتها للحكومة المركزية في استانبول، التي بلغت نحو 1.3 مليون دينار ذهبي ضرائب نقدية؛ وضرائب عينية وصلت إلى600 ألف أردب من الحبوب/ منها 300 ألف اردب قمح/(اردب القمح=150 كغ)(ابن إياس،1984، ج5، ص409) وبقيت هذه القيمة شبه ثابتة في عام 1682 حيث قدمت مصر ضرائب زراعية بلغت نحو 100 مليون بارة عثمانية ومن الضرائب الأخرى 16.5 مليون بارة (عبد الكريم، 1938، ص33) لكن في مطلع القرن الثامن عشر عاد العمل بنظام العمل بنظام (الالتزام) أو (الضمان) فكان لكل وحدة إدارية ملتزم يقوم بجمع الضرائب ويسدد قيمة الالتزام مسبقاً للخزينة قبل جمع الضرائب وبغض النظر عن الربح والخسارة؛ وظل الالتزام معمولاً به في مصر حتى عشرينات القرن التاسع عشر حين ألغي فعلياً من قبل محمد علي باشا(الجبرتي، 1880، ص153) لقد ساعد نظام الالتزام في تأمين مصدر دخل ثابت للدولة من دون أية نفقات على الجهاز الحكومي الذي سيقوم بهذه المهمة(الدوري، 1986، ص114-115) وفي بلاد الشام في النصف الثاني للقرن السادس عشر كان نحو 44% من مجمل مداخيل الولايات السورية يذهب) ثم انخفضت في نهاية القرن Moshe,1968,p.88للخزينة العثمانية، وبلغت قيمتها (70 ألف كيس= 35 مليون قرش) (السادس عشر وبلغت 30 مليون قرش عثماني(رافق، 1974، ص123)

في واقع الأمر كانت الادارة العثمانية في الأصل ذات طبيعة لا مركزية على نحو ما، فاستقلالية الولايات في الحياة الاقتصادية والاجتماعية كانت كبيرة نسبياً، وكان حق السلطان الحفاظ على ولاء الأمراء والقضاة والموظفين الكبار وإرسال 3/1 مداخيل الولاية من الميري والضرائب إلى الحكومة المركزية في استانبول، لكن الظروف الخارجية الاقتصادية والسياسية تغيرت كثيراً في القرن الثامن عشر؛ وأخذت تؤثر تأثيراً بالغاً في الحياة الاقتصادية للمدن العثمانية، فبعد اكتشاف العالم الجديد 1492م أخذت معادن الذهب والفضة تتدفق إلى الأسواق الأوروبية واحدثت ثورة في الأسعار أثرت على أسواق القمح والغذاء والأقمشة في المدن العثمانية، فأنعكس توفر النقد بكميات كبيرة على نظام جمع الضرائب بالتحول من نظام جمع الضرائب عيناً إلى جمع الضرائب نقداً، وأصبح لكل ولاية نظامها الاقتصادي الخاص وإدارتها وجيشها الخاص، وتحولت المدن من مدن إدارية تعتمد بشكل أساسي على الضرائب الزراعية المحصلة من الريف، إلى مدن شبه مستقلة توجه اقتصادها إلى التصدير الخارجي، ونتيجة لذلك انخفضت حصة الادارة المركزية في استانبول من الضرائب من 75% في منتصف القرن السادس عشر إلى 30% في أواخر القرن السابع عشر، وانعكس هذا الانخفاض على تراجع نسبة العاملين في الادارة العثمانية في مطلع ثلاثينات القرن السادس عشر تتراوح بين

15-20% إلى 5% في القرن الثامن عشر(سميليانسكايا، 1979، ص 25) ومع ثورة النسيج الثانية اصبح الحرفيون يشكلون أكثر من 60% من سكان المدن الصناعية (بازيلي، 1989، ص62-63) ومن جهة أخرى بدءاً من القرن الثامن عشر أصبحت وظيفة الالتزام بجع الضرائب تنتقل وراثياً من الآباء للأبناء، فظهرت طبقة أصحاب (المالكانة) من رجال الدولة الذين بدأوا يعملون في تجارة القمح وتصديره إلى الأسواق الأوروبية

3-الإنتاجية المرتفعة للأرض

لقد سمحت الانتاجية العالية للأرض بإنتاج كميات كبيرة من الغذاء الفائض عن الحاجة وإمكانية تصديره للأسواق الخارجية، ففي سورية مثلاً في نهاية القرن التاسع عشر كان متوسط انتاج الدونم من الأرض المزروعة حبوباً 1500 كغ وللشعير 1700 كغ للدونم (سميليانسكايا،1979،ص38) وحسب تقدير السفير الروسي في بيروت في القرن التاسع عشر ففي حوران (جنوب سوريا) كان إنتاجية الأرض في النصف الأول من القرن التاسع عشر من حجم البذار بالنسبة للقمح 40/1 وبالنسبة للذرة 200/1(بازيلي،1989 ص128-129) في حين كانت في فرنسا10/1(شفنادذة، 1990، ص225-226) وفي مصر كانت في نهاية القرن الثامن عشر كانت بالنسبة لمحاصيل الحبوب بنحو 15/1 ضعفاً في حين كان في فرنسا لا يتجاوز بالنسبة للحبوب 10/1 (جيرار، 1978، ص343-345) وحسب معطيات عبد الرحمن حميدة في عام 1954 كانت إنتاجية الأرض في الولايات المتحدة في الهكتار تقدر بنحو 300 كغ بالمتوسط بالنسبة للقطن، وبالنسبة للقطن كان إنتاج الفدان نحو 3 قنطار = 426 كغ (قنطار القطن= 143 كغ) وفي سهول الأناضول كانت إنتاجية الهكتار بالنسبة لمحاصيل الحبوب من 500–1000كغ

) أما في القرن العشرين وبين عامي 1928–1950 كانت انتاجية القمح في الولايات المتحدة بنحو Hamide,1959,P.432(1180 طن للهكتار بينما في مصر 1800 كغ والذرة في الولايات المتحدة 2460 كغ /هكتار بينما في مصر 2490 كغ/ هكتار(Warriner,1955,P.64) هذه الانتاجية المرتفعة كانت عاملاً مهماً في الحصول على الفائض من الانتاج الزراعي وتصديره للحصول على أرباح كبيرة جرى توظيفها في قطاعات أخرى لاسيما صناعة النسيج والألبسة المعدة للتجارة الخارجية

4-أثر تدفق النقد الأوروبي في أسواق المدن العثمانية

هناك اتفاق بين الدارسين للتاريخ الاقتصادي العثماني أن ثورة الأسعار في أوروبا نتيجة للتدفق الكبير للنقد الذهبي والفضي من العالم الجديد(أمريكا الشمالية) قد ترك أثره المباشر على الأسواق العثمانية، وأدى لارتفاع الأسعار عدة مرات في القرن السابع عشر، وظهرت طبقة من الصيارفة اليهود الأوروبيون الذين يمارسون تجارة النقود الثمينة المربحة؛ مما أحدث خللاً في نظام تقدير الضرائب وفي حركة الأسعار في أسواق المدن، وكان العرض الكبير من الريالات الفرنسية الذهبية، قد أدى لارتفاع الأسعار على السلع الأساسية: بين الفترة من 1698-1798م فارتفعت أسعار القمح بمقدار 3 مرات والأقمشة 10 مرات والحرير بمقدار 30 مرة، كما ارتفعت أسعار الصرف للريال الفرنسي بمقدار 8 مرات بالنسبة للبارة العثمانية (الجبرتي، ص139-140ص155-158) وقد رصد المستشرق ميير هذه الظاهرة؛ وتحدث عن انتشار تجارة العملات في الأسواق العثمانية وظهور النقد العثماني الذهبي والفضي المغشوش بالنحاس، مما أدى لانخفاض القيمة الشرائية للنقد العثماني، وارتفاع الأسعار في المدن، ورفع قيمة الضرائب في الولايات العثمانية عدة مرات بين القرنين السادس عشر والقرن السابع عشر بهدف تعويض العجز الخسائر الناجمة عن انخفاض القيمة الشرائية للنقد (ميير، 1975، ص 104-105) إذ اضطرت الدولة العثمانية لتغيير العملات عدة مرات، فكانت الأقجة التي ضربت لأول مرة سنة 729ه/ 1327م وهي أول نقد فضي عثماني، استمرت في التداول كوحدة نقد أساسية حتى القرن السابع عشر ميلادي، والبارة التي ضربت في عهد السلطان مراد الرابع بين عامي (1632-1640) وللأسف جرى تغيير فحلت الأقجة ثانية (الأقجة= 3بارة) محل (البارة والقرش) في التعاملات النقدية، لكن الأقجة فقدت أيضاً قيمتها نتيجة لخلطها بالنحاس، وحلت البارة محلها من جديد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، هكذا فإن حصة الخزينة المركزية في استانبول تناقصت بين 1525-1598 بسبب خلط الأقجة بالنحاس وتراجع القيمة الحقيقة لموارد الدولة مقدرة بالدينار الذهبي من 10- 4.2 مليون دينار (رافق المرجع السابق، ص123) ومن ناحية أخرى ساعد توفر النقد الأوروبي في الأسواق العثمانية في الانتقال إلى التحصيل النقدي للضرائب الزراعية، وأصبح الفلاح يدفع كميات أقل من الضرائب، ففي مصر مع نهاية القرن الثامن عشر بلغ مجموع الضرائب من الزراعة 784مليون بارة تعادل نحو 20 مليون قرش/ريال(القرش=40 بارة) وكانت نسبة التحصيل النقدي للضرائب الزراعية كبيرة تعادل 85% وبلغت قيمتها 672 مليون بارة، وانخفضت نسبة الضرائب العينية من 75-15% وبلغت قيمتها 112 مليون بارة ( ) وبقيت مصر حتى عام 1898م من اهم مصادر دخل الدولة العثمانية حيث قدمت للإدارة المركزية Hansen,1974,P.508 Volney,1887,P.224(في استانبول بين 45-50 مليون قرش/ريال فرنسي (

ثانياً: تجربة المدن العثمانية في التحديث والانتقال إلى الاقتصاد التصديري

بدأت مع نهاية القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر تتشكل طبقة اجتماعية جديدة في المدن العثمانية عرفت باسم (طبقة الأشراف) من التجار والضباط المتقاعدين في الجيش العثماني، وأصبح لديهم أملاك كبيرة، وتصرفوا كملاكين للأرض باسم الحقوق المكتسبة في جمع الميري أو الضرائب التي أصبحت تتنقل بشكل وراثي، لقد مارست هذه الطبقة إضافة لجمع الضرائب

من الأرياف التابعة للمدن تجارة القمح والغذاء واحتكرت التجارة الداخلية في المدن للسلع الأساسية كالقمح والشعير والزيوت والفحم والسمك..الخ مستفيدة من فروق الأسعار بين المدن الداخلية والسوق الخارجية، وقد رصد المؤرخ (البديري) حركة الأسعار في دمشق بين 1840-1868م وخرج بنتيجة أن ارتفاع الأسعار في دمشق، لم يكن سببه القحط أو نقص المواد، بل كانت الأسعار مرتفعة حتى في سنين الوفرة والمحاصيل الجيدة، بسبب الاحتكار الذي مارسه أصحاب النفوذ المتحكمين بالأسعار بغض النظر عن جودة أو رداءة المحاصيل (البديري، 1959).

1-دور طبقة الأشراف في التحول إلى الاقتصاد التصديري

ركزت طبقة (الأشراف) في بادئ الأمر نشاطها على الزراعة التصديرية نتيجة للطلب الكبير في الأسواق الأوروبية على الغذاء، فكانت مصر وسوريا إحدى أهم مصادر الحصول على القمح لبريطانيا وفرنسا، لا سيما مع موجة الجفاف في ايرلندا بين أعوام 1825-1840م وانقطاع انتاجها من القمح، قبل أن يتم وصل أوروبا بالولايات المتحدة وكندا بشبكة حديدية متطورة تسمح بنقل القمح الأمريكي الرخيص، فقد كان الطلب كبيراً على القمح والغذاء والقطن والحرير والصوف والكتان في الأسواق الأوروبية، وهذا ما دفع والي مصر محمد علي باشا للتركيز على تصدير القطن إضافة للقمح والكتان والذرة والسمسم للأسواق الأوروبية(الجبرتي، مجلد 4، ص254) حيث أمنت صادرات مصر من القطن 1833م للخزينة المصرية نحو 58.344 مليون قرش، وارتفعت حصة القطن من الصادرات المصرية بين عامي 1844- 1882م من 40-80%، لاسيما مع ارتفاع أسعار القطن في السوق العالمية بين عامي 1859-1863م من 12.5-45 دولار للقنطار، بسبب الحرب الأهلية في الولايات المتحدة، وارتفع حجم انتاج القطن في مصر عشر أضعاف من 502 ألف إلى 5.2مليون قنطار (P.431966,The Economic History of Middle East,) وقدم القطن دخلاً سنوياً للدولة المصرية بين عامي 1865-1880م تراوح بين 15-21 مليون جنيه مصري (البراوي وعليش، 1949، ص100-101)

في سوريا جرى التركيز على تصدير القمح عبر ميناء عكا فكان القمح السوري القادم من حوران جنوب سوريا يأخذ طريقه من هناك للأسواق الفرنسية، وفي فلسطين وبسبب الطلب الخارجي على القطن ارتفع حجم المساحات المزروعة قطناً في سهول فلسطين بنحو 3 مرات، وارتفعت الكمية المصدرة خلال هذه الفترة بمقدار 10 مرات(شلش، 1987، ص209-210) كما صدرت فلسطين السمسم والحمضيات إلى السوق الفرنسية وبلغت قيمة الصادرات الفلسطينية عام1877م نحو 10.5 مليون فرنك فرنسي مقابل واردات من فرنسا بقيمة 6.5 مليون فرنك فرنسي (المرجع السابق، ص221). أما في العراق فقد جرى التركيز على الحبوب وبشكل خاص القمح إلى جانب الصوف، واستأثرت بريطانيا طوال القرن التاسع عشر بسبة 56% من صادرات العراق والواردات من السوق الأوروبية 31.7% (The Economic History of Middle East,PP.184-185)

إلى جانب الزراعة توجه قسم من التجار في المدن العثمانية لتوظيف رؤوس أموال كبيرة في صناعة النسيج في الأرياف القريبة من الموانئ البحرية للإنتاج من أجل السوق الخارجية، فكانت بعض الأرياف المصرية مثل (فارسكو-دبيق) تنتج سلعاً نسيجية تضاهي بجودتها منتجات المدن، ويذهب قسماً منه للتصدير الخارجي، ومع انتشار صناعة الحرير كان بعض التجار المصريين يستوردون خامات الحرير من سوريا ولبنان، لتصنيعها في ورش ريفية حيث كانت تكلفتها لاسيما أجور اليد العاملة أقل بكثير من المدن، وأكثر ربحاً من ورش المدينة، ليتم تصدير منتجاتهم للسوق الخارجية عبر الموانئ المصرية البحرية القريب ة(المرجع السابق، ص191-193) وفي لبنان وسوريا اتجه التجار وأصحاب رؤوس الأموال للاستفادة من قوة العمل الرخيصة في الريف وبعيداً عن الضرائب ورقابة الدولة في المدينة، لتوظيف أموالهم في صناعة النسيج المعدة للتصدير للأسواق الخارجية، وكانت هذه الجزر الصناعية الصغيرة تزدهر في بعض المناطق ثم تخبو، مما أدى إلى حراك اجتماعي نشط للحرفيين حيث كانوا ينتقلون إلى مراكز العمل الحرفي الجديدة، حيث يكون الطلب مرتفعا على قوة عملهم، لكن من المهم جداً الحديث عن ثورة النسيج الثانية في المدن العثمانية

2-ثورة النسيج الثانية

تتحدث بعض المصادر الغربية عن ثورة النسيج الثانية في المدن العربية العثمانية، التي أعقبت ثورة النسيج الأولى بين (القرنين الثامن والثاني عشر) وكانت اهم مراكزها(الموصل-دمشق-الاسكندرية-تنيس)(الشيخ علي، 2021، ص153-154) أما ثورة النسيج الثانية فقد بلغت أوج ازدهارها في القرن الثامن عشر، وكانت أهم مراكزها (دمشق-حلب-القاهرة) حيث كان يعمل في هذه المهنة نحو من 40-50% من سكان هذه المدن، ففي مدينة دمشق ظهرت شركات مساهمة من أصحاب البيوت المالية وظفت أموالها في التجارة وصناعة النسيج تراوح رأس مال الشركة بين 20-25 مليون بارة تعادل (200-250 ألف إسترليني) وبلغ عددها 14 شركة وحجم رأسمالها الإجمالي 100 مليون بارة تعادل(مليون جنيه إسترليني) وكانت تنتج نحو 8 مليون قطعة قماش سنوياً، تتراوح قيمة القطعة الواحدة بين 80-95 بارة فأنتجت أقمشة حريرية بقيمة 81 مليون بارة وأقمشة قطنية بقيمة 5.3 مليون بارة، تم تصدير60% من هذا الانتاج للسوق الخارجية (Issawi,P.223) وفي حلب كان نصف السكان يعملون في النسيج وبلغ عدد الأنوال العاملة في النسيج في 1803 نحو 50 ألف نول، انتجت أقمشة بلغت قيمتها السنوية نحو100مليون بارة (تعادل مليون جنيه استرليني)(المرجع السابق، ص43) وارتفع أنتاج مدينة حلب من النسيج عام 1829م إلى 103.5 مليون بارة(نعيسة،1986، ص273) حيث كان هناك 4000 نول انتجت 34 مليون قطعة قماش سنوياً تتراوح قيمتها بين 25-50 مليون بارة تعادل بأسعار

الصرف آنذاك(250-500 ألف إسترليني) بالإضافة للأقمشة كانت حلب من أهم مدن العالم في صناعة الصابون آنذاك، ففي عام 1838م كان في مدينة حلب نحو 30 معملاً للصابون وفي ادلب 10 معامل تنتج سنوياً 1500طن من الصابون الذي ذهب للتصدير الخارجي، فكان إنتاجها يذهب إلى مصر ومن هناك إلى الأسواق الأوروبية (البراوي -عليش، ص64-66) هكذا تحولت بلاد الشام (سوريا) في تلك الفترة إلى مجمع صناعي ضخم لتصنيع مختلف أنواع الأقمشة، التي كانت تشق طريقها للسوق العالمية عبر مصر والبصرة، وفي مصر حاول محمد علي باشا بناء صناعة حديثة في مصر فاستورد الآلات من الغرب، التي بلغ عددها في عام 1833 إلى 4000 آلة ووضع سياسات حمائية جمركية على الواردات الصناعية وصلت إلى 40% (المرجع السابق، ص32) فأسس 25 مصنعاً يضم الواحد منهم بين 100-150 عامل يعملون على الآلة تحت سقف واحد، ووصل عدد العمال في بعضها إلى 30 الف عامل، وكان بعضها يعمل على البخار والفحم الحجري المستورد من السواق الأوروبية، وبقيت هذه الصناعة مزدهرة حتى أزمة الديون العثمانية وأزمة الديون المصرية عام 1875م

3-دور التنظيمات الحرفية (الأصناف) في المدن:

أثار نظام الطوائف الحرفية جدلاً بين المستشرقين، ورأى بعضهم أن هذا التنظيم وثيق الصلة بالإسلام ونشأ في الدولة العباسية(ايفانوف،1990، ص186) في حين رأى آخرون أنها ظاهرة عثمانية خالصة ظلت موجودة في المدن السورية حتى أواسط القرن التاسع عشر(تيكاذه،1972، ص13) لقد تركت (الأصناف) أثراً كبيراً على العمل الحرفي التقليدي في المدن العربية الاسلامية أستمر حتى مراحل متأخرة من القرن العشرين، وكان دورها معيقاً في التحول للصناعة الحديثة؛ حيث كان لكل مهنة حرفية أو خدمية شيخ كار يقف على رأس التنظيم، وكان الطفل الراغب في تعلم مهنة يمضي سنوات طويلة في تعلم المهنة على يد معلم، وكان عليه أن يلم بالفقه الحنفي ليعرف الحلال والحرام في ممارسة المهنة، ويخضع إلى تربية مهنية وأخلاقية صارمة، إلى جانب الدقة في العمل والإخلاص للتنظيم المهني والحفاظ على أسرار المهنة، إلى جانب الشرف المهني وآداب التعامل مع المجتمع المحيط. فيبدأ بممارسة المهنة كصانع قبل أن يتقن المهنة، ويحصل على إجازة من شيخ الكار بعد أداء القسم بعدم البوح بأسرار مهنته والإخلاص لشيخ الكار، ويجري منحه لقب (معلم) في المهنة في حفل خاص يحضره أهل الكار. وقد مثلت الطوائف المهنية وحدات اجتماعية واقتصادية أساسية في مجتمع المدينة، ولكل مهنة شيخ وعرفاء مسؤولون بشكل مباشر أمام إدارة المدينة، بجمع الضرائب المتوجبة على المهنة، وكان التنظيم الحرفي يحدد حجم الإنتاج اليومي أو الأسبوعي لكل حرفي أو مهني، ولا تسمح بإدخال أي تقنيات جديدة دون العودة لشيخ الكار (حنا،1985، ص40-46) بلغ عدد الطوائف الحرفية في القرن التاسع عشر في مدينة القاهرة مثلاً نحو 125 صنف أو طائفة مهنية، وعدد العاملين في الإنتاج الحرفي نحو 100 ألف عامل أي نحو 40% من سكان المدينة البالغ عددهم آنذاك 250 ألف، وفي حلب كان هناك 130 طائفة حرفية تضم نحو 45 ألف عامل في نهاية القرن السابع عشر يمثلون 45% من سكان المدينة (آرون، 1986، ص26-28) أما في دمشق وحسب قاموس الصناعات الدمشقية في القرن التاسع عشر، فبلغ عدد الطوائف الحرفية نحو 425 مهنة حرفية وتجارية وخدمية في المدينة، ونحو 50% منها كانت تعمل في الإنتاج الحرفي(سميليانسكايا،1979، ص27)

لقد أدت الطوائف المهنية وظيفة اقتصادية مهمة في التنظيم الاجتماعي، وساعد العرفاء المختصون بالمهن المحتسب ممثل إدارة المدينة في جمع الضرائب، وتُعد الطوائف الحرفية وسيلة إعلامية بين التنظيم الحرفي والسلطة السياسية لتبليغ أوامر السلطان السياسية والالتزام بها، وتعميمها على جميع الطوائف المهنية، وهي وسيلة مهمة، للتعرف على أحوال المهن ومنحها القروض من الوالي عند الحاجة للتغلب على مشكلاتها المالية.

4-دور المدن في التجارة الخارجية العثمانية

كان القرن الثامن عشر حالة فريدة من الناحية التاريخية للمدن العثمانية في تشكل سوق عثمانية مفتوحة واحدة تمتد من الأطلسي إلى الخليج العربي ومن الأناضول إلى أفريقيا، وكانت مصر وبحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي، مركزاً وسيطاً للتجارة العالمية، ولديها أسطولاً بحريا ضخماً بلغ عدد سفنه عام 1880م نحو 528 سفينة تنقل البضائع إلى أنحاء مختلفة من العالم ويذهب 62% من هذه التجارة إلى الأسواق الأوروبية (تطور الرأسمالية في العالم العربي،1988، ص16)

ومن نافلة القول أن المسلمين أحدثوا نحو أكثر من 450 مدينة جديدة في دار الاسلام وأضاف العثمانيون ما يزيد على 17 مدينة في مقدونيا، صربيا، ستارا زاگورا في بلغاريا، كومانوڤو وشتِب في جديدة؛ كالقطيفة وسعسع في سوريا، تيرانا في ألبانيا، نيش في كوسفو وسراييڤو في البوسنة والهرسك(الشيخ علي، 2018، ص420) وقد أدت هذه المدن أدوراً عسكرية وإدارية وكاتشانيك مهمة؛ وفي القرن الثامن عشر مع ازدهار التجارة العثمانية والتحول للاقتصاد التصديري ظهرت مدن جديدة متخصصة في التجارة البحرية، وامتلكت الدولة العثمانية شبكة متكاملة من المدن والموانئ البحرية، فكان مدينة طرابلس(الشام) متخصصة بتصدير التجارة الدمشقية عبر البحر المتوسط، وميناء بيروت متخصص بتصدير الحرير اللبناني والتبغ إلى أوروبا، وفي فلسطين كانت يافا وحيفا متخصصتان بالتجارة الأوروبية، في حين كان ميناء عكا متخصص باستقبال القمح القادم من حوران السورية لتصديره للأسواق الأوروبية، وفي العراق كانت ميناء البصرة متخصص بالتجارة مع الهند والصين، أما في مصر فكانت السويس تنسق مع ميناء جدة في الجزيرة العربية لتصدير الحبوب عبر البحر الأحمر واستقبال البضائع من اليمن والعراق والهند، وكان ميناء عيذاب المصري على البحر الحمر متخصص باستقبال التجارة من النوبة والسودان، وميناء دمياط في الشمال المصري

متخصص باستقبال التجارة الشامية، إضافة لميناء الإسكندرية على البحر المتوسط المتخصص بالتجارة مع أوروبا، وفي تركيا كان ميناء إسكندرون متخصص بالتجارة الحلبية حيث تأتي البضائع من حلب إلى انطاكيا ثم إلى اسكندرون ليتم تصديرها إلى أوروبا، وبرز دور أزمير واسميرنا واستانبول في التجارة التركية-الأوروبية، ومن نافلة القول أن حلب كانت منذ القدم من أهم المدن السورية في التجارة الدولية، وبقيت تؤدي هذا الدور حتى أواسط القرن الثامن عشر، لتحل دمشق محل حلب في تأدية هذا الدور حتى أواسط القرن التاسع عشر(رافق،1974، ص214) وقد بلغت التجارة الحلبية أوج ازدهارها في القرن الثامن عشر فكانت تصدر عبر مصر إلى ميناء مرسيليا الفرنسي بضائع سنوية بلغت قيمتها أكثر من 813 مليون ليرة ذهبية عثمانية(آرون، ص197).وظهرت مدن جديدة نمت وتطورت مع تطور تجارة التصدير البحرية؛ ومن أهمها:

1-جدّة: لم يكن عدد سكان جدة أكثر من 1000 شخص قبل أن تصبح مدينة تجارية مهمة لعبور التجارة المصرية عبر البحر الأحمر إلى الجزيرة العربية والهند والصين، فكان والي جدة يتم تعيينه من السلطان العثماني بمرسوم، ويتم تعيين آمر البحرية العثمانية (القبودان) الذي كانت مهمته جمع المكوس الجمركية لمصلحة السلطان، وكان القبودان ضابط بحرية له مهام تجارية وعسكرية فهو رئيس الحامية العسكرية في الميناء، وكان يتلقى إلى جانب مرتبه النقدي عطاءات عينية من الحبوب والعلوفة والأغذية من الخزينة السلطانية(عبد اللطيف، ص 112-114) وقد رصد فولني أهمية جدة لتجارة الحرير من الهند والقطن والأصبغة من السودان وقدر حجم البضائع السنوية التي تمر عبر هذا المرفأ البحري عام 1782م بنحو 11 مليون باوند (رطل)(Volney,p.220)

2-السويس: كانت السويس ميناء مصر الداخلي على البحر الأحمر، فكانت الملاحة النهرية عبر نهر النيل متطورة جداً منذ مراحل الحكم(الأموي-العباسي- المملوكي) فكانت مئات المراكب تُحمل الحاصلات الزراعية والبضائع من الصعيد ليتم نقلها إلى السويس ثم إلى خزينة السلطان أو من أجل التصدير، وتبوأت السويس دوراً مهماً جداً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لاسيما بعد افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية، فكانت قيمة ضرائب المكوس التجارية في مدينة السويس قد ارتفعت بين نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر من 4-8 ملايين بارة مصرية(عبد اللطيف، ص123-125) وقدر فولني قيمة مداخيل الخزينة المركزية في استانبول من هذا الميناء في 1882م نحو 4.64 مليون ليرة تعادل 23 مليون بارة (Volney.p.22.)

3-بيروت: كانت بيروت مركزاً إدارياً لأهم ولاية عثمانية في لبنان إلى جانب طرابلس، ولم تكن حصة مكوس التجارة عام 1615م تتجاوز16 مليون أقجة تعادل 3/1 مداخيل المدينة(الساحلي، 1987، ص 140) وأصبحت أهمية المدينة تتزايد مع الاهتمام بتربية دودة الحرير لإنتاج الحرير في جبال لبنان لتصدير خاماته لمدينة ليون الفرنسية، وشهدت المدينة تطوراً في عدد سكانها بعد أن كان لا يتجاوز 3 آلاف أصبح في نهاية القرن السابع عشر إلى 8 آلاف نسمة وبلغ عام 1735م 20 ألف نسمة(رستم،1973، ص99) وكان دخل المدينة من ضرائب الجمرك يزيد على 3 مليون قرش عثماني في أواخر القرن السابع عشر؛ مقارنة مع ضرائب الزراعة البالغة 2.625 مليون قرش(طربين، 1968، ص 340) ومع ارتفاع حجم الطلب على الحرير اللبناني في أوروبا بين عامي1847-1860م ارتفعت مداخيل المدينة من الضرائب على الحرير 80-132 مليون قرش عثماني، فكانت تصدر سنوياً نحو 4.5 مليون كغ من الحرير، ذهب 47% إلى بريطانيا تلتها فرنسا وارتفع عدد سكان المدينة من 40 ألفاً عام 1860م إلى100ألف عام 1885م(سيميانسكايا، 1965، ص10و ص100)

4-أزمير: أدت أزمير إلى جانب استانبول دوراً مهماً في التجارة التركية البحرية مع أوروبا، ففي ثمانينات القرن السابع عشر كان عماد الصادرات التركية إلى السوق الأوروبية خامات الصوف الخام، فصدرت تركيا إلى فرنسا بين 100-120 ألف بالة صوف تبلغ قيمتها آنذاك نحو 3 مليون فرنك فرنسي سنوياً، ومن خامات القطن الخام 3 مليون فرنك أيضاً(p.32, The Economic History of Middle East) إضافة إلى ذلك صدرت تركيا القمح إلى الاسوق الأوروبية عبر ميناء استانبول، فبلغ حجم صادرات القمح عام 1785م نحو 7 مليون كيل (الكيل =45-50 كغ) وبلغت قيمة الصادرات التركية الى فرنسا آنذاك من الحبوب والصوف والقطن نحو 29. 8 مليون فرنك فرنسي(ibd,p.34&276) وتتضح أهمية مدينة أزمير بأنها أصبحت الميناء البحري الأساسي للتجارة البحرية مع أوروبا بدءاً من عام 1725 حيث تم تصدير ما قيمته من البضائع نحو 667 ألف ليرة عثمانية، ليرتفع حجم صادرات المدينة من القطن لوحده إلى 4 مليون ليرة عثمانية في عام 1884م فكانت حصة أزمير نحو 90% من الصادرات التركية السنوية للسوق الأوروبية (Kormus,1978,p.176)

ثالثاً- العوامل المؤثرة في المدن العثمانية في مرحلة الإصلاحات العثمانية

من المؤسف جداً أن الإصلاحات العثمانية أوما أطلق عليه (عصر التنظيمات الخيرية العثمانية) ترافق مع ضغوطات خارجية من الحكومات الأوروبية لفرض سياسات اقتصادية جديدة، بسبب حاجة الدولة للاستدانة من بيوت المال اليهودية الأوروبية، مع تراجع واردات الخزينة العثمانية التي لم تعد تغطي نفقات الادارة، فأصدرت الدولة العثمانية قوانين تهدف في الظاهر الى تحديث الدولة العثمانية؛ لكنها في الواقع مهدت لتملك الأجانب ومحاكاة نمط الحياة الغربي، ومن أهم هذه القوانين (خط شريف غولخاني) عام 1839م وقانون (خط همايوني) عام 1856م وكان اهم هذه القوانين قانون (الإصلاحات الدستورية) عام 1876م. سمحت هذه التشريعات بحق تملك الأجانب الأوروبيين للأرض والمؤسسات، والانفتاح الاقتصادي والاجتماعي والثقافي على الغرب، فانتشرت

اللغة الفرنسية في البلاط وفي المدارس العثمانية وانتشرت الأزياء الفرنسية ومظاهر السلوك الأوروبي، مما أدى لارتفاع حجم الانفاق الترفي في البلاط العثماني(عواد،1969، ص213) حيث بلغت نفقات البلاط العثماني في عام 1850م نحو7/1 من نفقات الدولة (العلاقات الاقتصادية الخارجية للإمبراطورية العثمانية، 1989،ص103-104). في الوقت ذاته كانت موارد الدولة العثمانية تتناقص ففي عام 1874م مثلاً كان حجم موارد الخزينة المتوقع 570 مليون فرنك فرنسي في حين لم يصل منها أكثر من 138 مليون فرنك أي أن 63% من مستحقات الخزينة من الولايات لم تصل فعلاً إلى الخزينة (آدموف، 1982، ص100)

1-أزمة الديون العثمانية

بدت الفرصة مواتية لرأس المال الربوي اليهودي البريطاني والفرنسي باستغلال حاجة الدولة العثمانية للقروض لتغطية نفقات الإدارة بمنحها قروض بفوائد مرتفعة تزيد على 13% في حين كان معدل الفوائد السنوية على القروض في بريطانيا لا يتجاوز 5%، وكانت هذه البيوت المالية اليهودية وعلى رأسها (أسرة روتشيلد) قد استغلت حاجة الدولة العثمانية لتغطية نفقاتها الإدارية؛ فبدأت بمنح قروض بفوائد مرتفعة جداً، وللأسف من أصل 17 قرضاً كان هناك أثنان فقط تم استخدامها لأغراض اقتصادية، ومنها مشروع بناء خط الحجاز للسكك الحديدية(العلاقات الاقتصادية الخارجية للإمبراطورية العثمانية،ص117) وتراكمت الديون على الدولة العثمانية بين عامي 1863-1877م لتصل إلى 117 مليون ليرة عثمانية(آدموف، ص106) وفي حين لم تستلم الخزينة العثمانية فعلياً أكثر من 60% من قيمة القروض المتفق عليها، (العلاقات الاقتصادية الخارجية للإمبراطورية العثمانية،ص101) وعندما عجزت الدولة العثمانية عن دفع أقساط الديون بدأت برهن موارد الولايات للجهات الدائنة، ففي العام المالي 1854-1855م أخذت من فرنسا قرضاً بقيمة 5 مليون فرنك فرنسي كانت ضمانة القرض ضرائب مصر، وأخذت قرضاً آخراً من بريطانيا وكانت ضمانة القرض حصة الدولة من الضرائب في سوريا واستانبول، واستمرت الدولة بمنح ضمانات على القروض فحصل الانكليز على حق جمع الضرائب الجمرك في أزمير والمدن التجارية السورية، وما أن حل عام 1875م حتى اعلنت الخزينة العثمانية حالة الإفلاس فظهرت(أزمة الديون العثمانية) ؛ وأصبحت جميع موارد الدولة العثمانية مرهونة للدائنين وخضعت للإدارة المباشرة لـ(لجنة الديون العثمانية الخارجية) التي اخذت حق أدارة موارد الدولة العثمانية حتى عام 1930م لاستيفاء الديون(المرجع السابق، ص97-98) وفي مصر تكررت المشكلة ذاتها مع توسع محمد علي باشا في مشاريعه الضخمة باستصلاح الأراضي، والتحول إلى زراعة القطن وبناء المجمعات الصناعية في قطاع صناعة الأقمشة وصناعة الأسلحة، ومن بعده الخديوي إسماعيل الذي انفق بلا حدود على شق قناة السويس والبذخ في الإنفاق على الترف، مما أدى إلى لجوء مصر لتغطية هذه النفقات الضخمة للاستدانة من بيوت المال اليهودية الأوروبية، فمن مجموع القروض بين عامي 1854-1876م البالغة قيمتها 91 مليون جنيه مصري لم تستلم مصر أكثر من 63% من قيمة هذه القروض، (الأرض والفلاح في مصر على مر العصور، 1974، ص73) وكانت مصر تدفع فوائد مرتفعة للدائنين تتراوح بين 12-26% وأصبحت مصر بمثابة الدجاجة التي تبيض ذهباً بالنسبة للدائنين، وأصبح حجم الدين مع الفوائد(خدمة الديون) يستهلك من 70-80% من مجمل موارد الخزينة المصرية طوال الفترة 1870-1889م واستمر الحال على هذا النحو حتى القرن العشرين، وبقيت حصة الدائنين من بيوت المال اليهودية 50% من مجمل نفقات الخزينة حتى عام 1950م، وحسب تعبير فريدمان فإن الشعب المصري دفع فعلياً للدائنين حتى عام 1939 نحو 287 مليون جنيه مصري، وهي قيمة أكبر من الديون الفعلية بنحو3. 7 مرات(فريدمان،1963، ص8-10) كانت الحصة الأكبر من ديون مصر للإنكليز، وحين تم إعلان الإفلاس في الخزينة المصرية وضعت بريطانيا عام 1882م يدها على الادارة المصرية، وتم الإعلان عن بيع أسهم قناة السويس فأشترى الإنكليز الحصة الأكبر من أسهم قناة السويس، وتم إعفاء تجارتها من رسوم العبور،) حيث ساهمت قناة السويس Issawi,1980,P.11حيث عبرت 3/2 تجارتها عبر القناة ونحو من 50% من تجارتها مع الهند (بانخفاض كلفة شحن البضائع بين الشرق والغرب بنسبة 50% للطن الواحد، فكانت البضائع البريطانية تعبر بسرعة وسهولة ويسر بين الهند والصين والبحر المتوسط لتصل إلى الموانئ البحرية الأوروبية (ريو، 1970، ص84)

2-أثر السياسات الجمركية على انهيار الصناعة في المدن العثمانية

بقيت الصناعة مزدهرة في المدن العثمانية حتى أواخر ثلاثينات القرن التاسع عشر، لكن مع الأسف الشديد فإن السياسات الجمركية التي فرضها الأوروبيون على الدولة العثمانية كشرط لمنحها الديون، قد أضرت كثيراً بالمصدرين والصناعيين في الدولة العثمانية، فقد كان التاجر العثماني يدفع رسوماً جمركية مرتفعة تتراوح بين 35-40% من قيمة البضاعة فكان التجار العثمانيون يضطرون للتصدير باسم التجار الأوروبيين، حيث جرى تخفيض الضرائب الجمركية على المصدرين الأوروبيين إلى 5% وجرى تخفيض الضرائب على الواردات الأوروبية من 20% إلى 4% (بازيلي،1882،ص628-630) ومن المعروف جيداً أن البلدان الغربية كانت تضع ضرائب مرتفعة لحماية منتجاتها الصناعية من المنافسة في أسواقها الداخلية، فقد وضعت الولايات المتحدة مثلاً في عام 1897م رسوم جمركية على الواردات الصناعية بلغت 57% وفي بريطانيا كانت الرسوم عام 1932على الواردات 32% وتصل في بعض السلع المصنعة محلياً كالجوخ مثلاً الى 100% من قيمة البضاعة(التاريخ الاقتصادي للبلدان الرأسمالية، 1986، ص17 و250)

لقد أدت هذه السياسة الجمركية لعجز مستمر في الميزان التجاري العثماني، حيث ارتفع حجم الطلب على البضائع الانكليزية في الدولة العثمانية وزادت الواردات من بريطانيا بين عامي 1828-1831م بمقدار10 مرات وارتفعت قيمتها من 11-105.6 مليون جنيه إسترليني(بوركهارت، 1959، ص45) فكان الانفتاح على المنتجات الغربية قد ألحق الضرر بالصناعة الناشئة وأضعفت قدرتها التنافسية مع البضائع الانكليزية والفرنسية في أسواقها، مما أدى لانخفاض عدد الأنوال العاملة في النسيج في مدينة بورصة مثلاً بين عامي 1847-1855م من 1000 -75 نولاً فقط(تاريخ مصر الاقتصادي الحديث، ص101) وفي المدن السورية أنخفض عدد الأنوال العاملة في النسيج في دمشق من 50 ألف ألى 2500 فقط بين عامي 1807-1847م، وفي مدينة حلب انخفض عدد الأنوال العاملة في عام 1849م من 45 ألف إلى 6200 نول فقط، وانخفض إنتاجها الى 8 مليون بارة(The Economic History of Middle East,p.304-305) وتراجعت صناعة الحرير في حلب من600-2 ورشة لصناعة أغطية الرأس من الحرير الناصع البياض(الماركيزيت)(الحلبي،1926، ج2، ص436) هكذا تكبدت الصناعة السورية خسائر وصلت قيمتها السنوية الى190 مليون قرش عثماني، وقد رصد بازيلي أثر هذه السياسة الجمركية في انهيار الصناعة النسيجية في دمشق وحلب الذي ترافق مع انخفاض عدد سكان مدينة دمشق من 120-80 ألف ومدينة حلب من 150-80 ألف نسمة بين عامي 1820-1840م(بازيلي،1882، ص628-630) وكما يقول بول كوانت فقد خسر في عام 1939م نحو 10 آلاف عامل حرفي في دمشق عملهم، وبدأت تظهر مخازن لبيع الأقمشة الإنكليزية، فبلغ عددها في دمشق عام 1850 نحو109 مخازن(تعيسة، ص304-305) ويرصد هذا الأثر روبين بقوله: لقد فقد الكثير من العاملين في النسيج عملهم، مما أدى لموجة كبيرة من الهجرة من مدن وريف لبنان وسوريا إلى الأمريكيتين فهاجر من سوريا بين 1860-1915م نحو 330 الف ومن لبنان 100 الف مهاجر(The Economic History of Middle East,pp.269-270) وقدر مؤرخ دمشق محمد كرد علي حجم الهجرة من سوريا ولبنان وفلسطين في الفترة بين أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين نحو 700 ألف مهاجر(كرد علي، مجلد4 ، ص271)

3-دور رأس المال الأجنبي

بدأ رأس المال البريطاني والفرنسي بالتغلغل في اقتصاد الدولة العثمانية مع نهاية القرن الثامن عشر عبر الوكالات التجارية، وشركات الصرافة التي تتاجر بالنقد الذهبي والفضي، وجاءت أزمة (الديون العثمانية) لتمهد الطريق أمام رأس المال الأجنبي، فكان حجم الأرباح المرتفعة لرأس المال الأوروبي في هذه المنطقة جعلتها من أكثر مناطق العالم النامي استقطاباً لرأس المال الغربي، وكان افتتاح قناة السويس عام 1859م قد غير وجه التاريخ في حركة التجارة البحرية بين الشرق والغرب، واختصر المسافات والوقت والمال فوضعت بريطانيا يدها فعلياً على إدارة مصر منذ 1882م، وتمكنت من السيطرة على قناة السويس (Issawi,1982,p.211). وقد مثلت مصر جسر الذهب للاستثمارات البريطانية، التي كانت تحقق ربحاً تفوق مرتين على الأقل مما هو عليه في بريطانيا، فقد بلغت حصة مصر من الاستثمارات البريطانية في عام 1910م قرابة 43.75 مليون جنيه إسترليني، مقارنة مع حجمها في روسيا 38.38 مليون إسترليني، إسبانيا 18. 8 مليون، الصين 26. 8 مليون، وقد ركز رأس المال البريطاني على القطاع المصرفي والقطاعات غير الإنتاجية حيث بلغت نسبتها ما يزيد على 80%. وعشية الحرب العالمية الأولى بلغ حجم الاستثمارات الأجنبية في مصر 250 مليون جنيه إسترليني، كانت موزعة بنسبة 79% قطاع المصارف وفي التجارة والنقل والمواصلات 12. 6%، في البناء والصناعة والري والسدود 7.6%(فريدمان، ص13-14 ص67) لكن الربح الذي يتم تحقيقه لم يكن يستخدم في تطوير الصناعات المصرية، بل يتم تحويل نسبة تتراوح من 60-85% منه إلى خارج مصر، ويمكن ملاحظة الحالة ذاتها في الجزائر حيث حول المستعمرون الفرنسيون من الجزائر نحو 100 مليار فرنك فرنسي (حداد والحمش،1972، ص116) هكذا كانت الدول الأوروبية الرئيسة التي استثمرت في المنطقة العربية هي بريطانيا وفرنسا إلى جاب استثمارات ألمانيا في تركيا وبلجيكا في القسم الأفريقي. ركز رأس المال الأجنبي أنشطته على المصارف واستصلاح الأراضي والسكك الحديدية بهدف تأمين المواد الخام الأولية للبلد الأم والوصول إلى الأسواق لتصدير المنتجات للبلد الأم، وكان رأس المال الأجنبي في الإمبراطورية العثمانية عشية الحرب العالمية الأولى 1914م قرابة 63.444 مليون جنيه إسترليني موزعة على النحو التالي: بناء السكك الحديدية 50%، المصارف والبنوك 16%، الصناعة التحويلية8.3%، الزراعة والأعمال الانشائية 24.7%، وحسب البلدان: (ألمانيا 45. 5% - فرنسا 25% - بريطانيا 26% - بلجيكا 3. 5% وحسب القطاعات والبلدان المستثمرة (ألمانيا: 67%% في بناء السكك الحديدية، و22% في البنوك والمصارف، بريطانيا:80% في المصارف والبنوك ،7. 6 % في الصناعة، 16. 4% في الزراعة والباقي في قطاعات أخرى Bone & Manhiem, 1960,PP.129-130).

4-دور السكك الحديدية في ربط المدن العثمانية مع الأسوق الأوروبية

كان السلطان عبد الحميد الثاني من بين أهم السلاطين العثمانيين المتنورين، وكان لديه طموح سياسي كبير بتخليص الدولة العثمانية من الديون الخارجية، والتحرر من تأثير رأس المال الربوي اليهودي الفرنسي والإنكليزي، وبناء دولة قوية، فبدأ بالتعاقد مع الألمان لبناء شبكة متطورة من السكك الحديدية واستقدم المهندس الألماني مسنر باشا(Pasha Meissner) ليترأس فريق العمل،

وقد حاربت بريطانيا وفرنسا بشدة المشروع لإبعاد ألمانيا من المنطقة، وقد جرى تنفيذ جزءاً مهماً من المشروع بين 1888-1913م فتم تنفيذ نحو 16 خط عريض بطول 5350 كم كان 90% يقع في القسم الآسيوي من الامبراطورية العثمانية، ولم تبدأ الحرب العالمية الأولى حتى كانت الخطوط المنفذة قد بلغ طولها نحو 18000 كم (The Economic History of Middle East,p.250-253 4 .3-1من1908-1850م وقد ارتفع حجم الاستثمارات في السكك الحديدية في سوريا وفلسطين بين عامي) مليون فرنك فرنسي وبلغت ذروتها عام 1914م ووصلت الى 95 مليون فرنك فرنسي، وكانت أهم الخطوط الحديدية المنفذة في الدولة العثمانية: خط (حيفا-القدس) بطول 245 كم وخط (رياق-حلب) بطول 332كم وخط (دمشق-الحجاز) بطول 1456كم وخط (قونيا-بغداد-البصرة) بطول 731 كم (Ibd,210&270). هكذا جرى بناء شبكة تربط مدن (إستانبول-حلب-بغداد- البصرة-جدة) و(دمشق -عمان-القدس) إضافة الى خط (حلب-حمص-دمشق) وخط (حمص -بيروت) وتم ربط المدن على ساحل شرق المتوسط بخط (إسكندرون-اللاذقية-بيروت-صور–صيدا-يافا -حيفا- عكا). هكذا ساهمت هذه الشبكة المتطورة من السكك الحديدية في ارتفاع حجم التبادل التجاري بين الولايات العثمانية وأوروبا، فقد ارتفع حجم التبادل بين المدن السورية والسوق الأوروبية بين عامي 1831-1860م من 1.5-4.5 مليون جنيه إسترليني، وبين عامي 1860-1901م من 5.4 -10 مليون إسترليني(Issawi,1982,p.24 60-36م من 1900-1912 وزاد حجم التبادل التجاري بين مصر وهذه السوق بين عامي) مليون جنيه مصري، وقد تصدر القطن الخام المرتبة الأولى في الصادرات المصرية والتركية، حيث قدرت قيمتها من الصادرات المصرية بما يعادل 60 مليون دولار، ومن الصادرات التركية نحو271 مليون دولار عام 1913م(Ibd,P.24) وارتفع حجم المبادلات التجارية بين تركيا وأوروبا في الفترة ذاتها من 3-5 مليون مارك ألماني، وأرتفع حجم التبادل للدولة العثمانية مع الأسواق الأوروبية بين عامي 1900-1912 من 38-66 مليون جنيه إسترليني (Issawi,1978,p.24)

5-ظاهرة التحول إلى الاقتصاد التصديري الأحادي الجانب

لقد أدى انهيار الصناعة في المدن العثمانية وغزو أسواق هذه المدن بالبضائع الأوروبية، بدخول الولايات التابعة للعثمانية في حالة من التبعية للسوق الأوروبية، والتخصص بإنتاج سلعة زراعية تصديرية واحدة، ففي سوريا تم التركيز على زراعة القمح في حوران جنوب سوريا لتصديره إلى السوق الفرنسية عبر ميناء عكا، فقد صدرت فلسطين بين 5- 75مليون كيل قمح (الكيل في حوران: 120كغ) بين عامي1871-1879م(كانت نسبة 60-65% منه تأتي من حوران) وبقي القمح المحصول التصديري الأساسي لسوريا حتى عام 1913مم وبلغت نسبته أكثر من 50% من الصادرات السورية إلى جانب الحرير 20% ، وجرى التحول في سوريا متأخراً إلى زراعة القطن بين أربعينات وخمسينات القرن العشرين، حيث كانت حصة القطن من الصادرات السورية تصل إلى 40% .وفي مصر ظل الاعتماد على القطن حتى عام 1910 وكانت حصة القطن تعادل 80% من الصادرات المصرية وبقي القطن أهم مصدر بالنسبة لمصر للحصول على القطع الأجنبي حتى أواسط القرن العشرين، وفي لبنان كان الحرير الطبيعي عماد الصادرات اللبنانية وبقيت نسبته 80% من الصادرات إلى جانب التبغ حتى عام 1955م(بعلبكي،1986، ص202-203). هكذا بقيت ظاهرة التخصص بإنتاج سلعة زراعية تصديرية واحدة حتى أوسط القرن العشرين، فاعتمدت مصر على القطن، وسوريا على الحبوب، ولبنان على الحرير، وظل هذه الحالة حتى عام 1955م (الحمش،1983 ص131) في العراق بقيت نسبة الحبوب من الصادرات مرتفعة منذ القرن التاسع عشر وحتى أوسط القرن العشرين، حيث ظلت حصة الحبوب 40% من الصادرات حتى عام م1950م(سلمان، 1966، ص66-67).

خاتمة

من الصعب جداً فهم هذه المرحلة بمعزل عن الدور الأوروبي، لا سيما الانكليزي والفرنسي، الذي كان يتطلع منذ القرن السادس عشر لانهيار الدولة العثمانية ، ووضع يده على الممرات البحرية للتجارة العالمية في البحر المتوسط ، ومن المؤسف حقاً أنه نجح بالتغلغل إلى مفاصل الإدارة العثمانية لنشر الفساد في الادارة وتحريض الولاة على العصيان والتمرد على الدولة العثمانية، ومن المعروف تاريخياً أن هذه المنطقة كان موضع صراعات بين القوى العظمى عبر التاريخ للسيطرة عقدة التجارة البحرية العالمية ، ولا تزال القوى الاقتصادية العالمية الجديدة تتنافس للسيطرة على هذه المنطقة. ومما لاشك فيه ان الدولة العثمانية فرضت سيطرتها على هذه الممرات البحرية وعلى العالم بالعدل والانصاف، وحرمت رأس المال الربوي من ثروات هائلة، فاتجه إلى الهند بوقت مبكر وأمريكا الشمالية للحصول على الذهب، وأصبح النقد الذهبي والفضي يتدفق بكميات كبيرة على الأسواق العثمانية، وأحدث تحولاً مهماً في الاقتصاد والإدارة، لصالح رأس المال الربوي الأوروبي؛ ومن نافلة القول أن مقومات الانتقال إلى الحداثة الرأسمالية في المرحلة العثمانية كانت متوفرة، لكن الفارق النوعي بينها وبين أوروبا؛ أن أوروبا سمحت بالربا وحرية التجارة والحريات الفردية في التفكير والابداع، لتتجاوز تخلفها عن الشرق الآسيوي، فحدثت الثورة العلمية والتقنية التي مهدت لظهور الثورة الصناعية، وبعد أن كانت منتجات الهند والصين والعالم الاسلامي تجتاح الأسواق الأوروبية حتى أواخر اربعينات القرن التاسع عشر، حدث التحول العكسي مع فتح أسواق الدولة العثمانية أمام البضائع الأوروبية الجيدة والرخيصة، مما أدى لإجهاض هذه التجربة في الحداثة الرأسمالية، وتأجيل عملية الانتقال إلى القرن العشرين مع انشغال أوروبا بالحروب العالمية الأولى والثانية، ثم يأتي التدخل الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية، ليجهض تجربة البرجوازية في تركيا ومصر وسوريا والعراق، ويدعم الانقلابات العسكرية لإعادة انتاج نظم استبدادية تحقق مصالح رأس المال الربوي الأمريكي، لتدفع شعوب المنطقة ويلات هذا التدخل؛ لكننا الآن

نتلمس نهوض لقوى آسيوية جديدة مع الانحسار التدرجي للدور الأمريكي في المنطقة، وظهور الصين والهند إلى جانب اليابان ودول جنوب شرق آسيا، التي استفادت من تجاربها التاريخية وحافظت على تراثها وتقاليديها واهتمت بالعلم والتعليم دون أن تقلد بشكل أعمى ثقافة الغرب، لتنهض كقوى جديدة على المسرح العالمي تملأ الفراغ الأمريكي والأوروبي، ويجب على تركيا والدول العربية الاستفادة من هذا الدرس وأن تعيد النظر بسياساتها الاقتصادية، وتفكر بالبعد التاريخي والجيوسياسي فيما بينها، لإنشاء تكتل اقتصادي عربي- تركي يسهم في نهضة صناعية تحقق الرفاه لشعوبها.

المصادر والمراجع

أولاً-المراجع والمصادر باللغة العربية

-ابن إياس، محمد الحنفي. (1984). بدائع الزهور في وقائع الأمور، ج5، القاهرة
- آدموف، الكسندر. (1982). ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: خالد التكريتي، بغداد
- الأرض والفلاح في مصر على مر العصور. (1974). برئاسة تحرير: احمد عزت عبد الكريم، القاهرة
- آرون، ريمون. (1986). العواصم العربية في العصر العثماني من حيث عمارتها وعمرانها، ترجمة: قاسم طوير، دمشق
--بازيلي، قسطنطين، م .(1989). سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة: طارق معصراني ، دار التقدم: موسكو
- البديري، أحمد الحلاق.(1959).حوادث دمشق اليومية(1741-1762)، القاهرة
-البراوي، راشد، عليش، حمزة.(1949). التطور الاقتصادي في مصر في العصر الحديث، الطبعة 4 ، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة
- بوركهارت،ج، ل.(1959).رحلة في بلاد النوبة والسودان، ترجمة: فؤاد اندراوس وقدم له محمد محمود الصياد، القاهرة
- تاريخ مصر الاقتصادي الحديث. (1938). برئاسة تحرير: احمد عزت عبد الكريم واسكندر توفيق وآخرون، القاهرة
-الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن. (1880). عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مجلد 4، طبعة بولاق: مصر
-جيرار، ب . س.(1978). التجارة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ترجمة: فريدة الشايب، القاهرة
-الحصري، ساطع .(1965). العرب والعثمانيون، البلدان العربية والدولة العثمانية، ط 3،بيروت
- الحلبي، الطباخ، محمد راغبا محمود هاشم.(1926). أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج2، حلب
- حنا، عبد الله.(1985).حركات العامة في مدينة دمشق بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، بيروت
(1968). مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت.- الدوري، عبد الكريم
-رافق، عبد الكريم.(1974).العرب والعثمانيون بين عامي 1516 – 1916، دمشق
- رافق، عبد الكريم.(1984).*التأثير الاقتصادي لأوربا الغربية على الاقتصاد الدمشقي التقليدي/1840-1870/، مجلة(دراسات تاريخية)،دمشق، العدد 15*
-رستم، أسد.(1973). لبنان في عهد المتصرفية 18، دار النهار للنشر: بيروت
- ريو،ج. ب.(1970).الثورة الصناعية في أوروبا 1780-1880م ترجمة: الياس خوري، دمشق
-الساحلي، خليل أوغلي.(1987).تغير طرق التجارة في القرن السابع عشر، من وثائق الندوة الدولية الثانية لتاريخ بلاد الشام، دمشق، مجلد 2
- شلش، أ.(1987).النمو الاقتصادي في فلسطين، وثائق الندوة الدولية الثانية حول تاريخ بلاد الشام، دمشق
- الشيخ علي،سمير.(2018). ظاهرة التمدن في الحضارة الإسلامية: كتاب:
DÜŞÜNCE BİLİMLERİ :KLASİK; SORUNLAR-GÜNCEL,TARTIŞMALAR, Editörler M. Nesim Doru_Ömer Bozkurtkk Matbaa Sertifika; Aralık k, Mardin-Turkyue
- الشيخ علي، سمير.(2021). الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدينة العربية الإسلامية بين القرنين الثامن والحيادي عشر ميلاديين، مجلة المنصة للعلوم واللغات والآداب، المجلد الثاني العدد الأول نيسان، ماردين-تركيا
- عبد اللطيف، ليلى أحمد.(1980). دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام في العصر العثماني، القاهرة
- العطار، نادر.(1960). التاريخ الحديث لسورية بين1516-1960/ المجلد الأول، دمشق
- عواد، عبد العزيز محمد.(1969).الادارة العثمانية في ولايات سوريا (1864-1910م)، القاهرة
- طربين، الياس.(1968). لبنان في عهد الانتداب الفرنسي/1841-1912/، دمشق
-كرد علي، محمد.(1926).خطط الشام, مجلد 4، مكتبة الترقي : دمشق
-نعيسة، يوسف جميل.(1986). مجتمع مدينة دمشق في القترة ما بين 1186 1256هـ 1772 1840م، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر: دمشق

-نيبور، ك.(1977). رحلة إلى مصر والجزيرة العربية والبلدان المجاورة (1761-1767)، ترجمة: مصطفى ماهر، القاهرة

ثانياً-المراجع باللغة الروسية

- ايفانوف، ن.أ.(1990).المهن والورش العربية العثمانية في القرنين الخامس عشر والسابع عشر، كتاب (الإمبراطورية العثمانية-السلطة السياسية والبنى الاجتماعية-السياسية) برئاسة تحرير:،سي.إف، أوريشكوف، موسكو

-بازيلي، قسطنطين.(1882). سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني، مجلد 2، أوديسا-أوكرانيا

- بيتكوفيتش. ك.(1885). لبنان واللبنانيون، سان بطرسبورغ-روسيا

- بعلبكي، بطرس.(1986). *مقدمة في التاريخ الاقتصادي للبنان، الحرير والتجارة الخارجية في نهاية الفترة العثمانية بين عامي 1840-1914م، مجلة (شعوب آسيا وأفريقيا)، العدد 6، موسكو*

- التاريخ الاقتصادي للبلدان الرأسمالية.(1986).مجموعة كتاب، برئاسة تحرير: ف.يا.بوليانسكي، موسكو

- تطور الرأسمالية في العالم العربي.(1988).برئاسة تحرير: غ.ك.شيروكوف، موسكو

- تيكاذه.م.ي.(1972). المدن السورية في عهد السيطرة العثمانية، ملخص رسالة دكتوراة في التاريخ، تبليسي-جورجيا

--سيمليانسكايا، إيرينا.(1965).الحركات الفلاحية في لبنان في النصف الأولى من القرن التاسع عشر، موسكو

-سيمليانسكايا، إيرينا .(1979). البنية الاقتصادية الاجتماعية لبلدان الشرق الأوسط على مشارف العصر الحديث، موسكو

إنتاجية الحبوب في أراضي الإمبراطورية العثمانية (استناداً إلى قوانين الضرائب العثمانية للقرنين .- شفنادذة، خ.(1990) السادس عشر والسابع عشر): كتاب: (الإمبراطورية العثمانية)،برئاسة تحرير يو،آ، بتروسيان، موسكو

-العلاقات الاقتصادية الخارجية للإمبراطورية العثمانية في المرحلة المعاصرة/القرن الثامن عشر-القرن العشرين/.(1989).مجموعة مقالات برئاسة تحرير يوري،أ، بتروسيان، موسكو

--فريدمان، ل.(1963).تطور الرأسمالية في مصر 1882-1939م، موسكو

تأثير (ثورة الأسعار) في أوروبا على الإمبراطورية العثمانية، مجلة (شعوب آسيا وأفريقيا) بالروسية، .(1975)- ميير، م. س العدد (1) موسكو،

ثالثاً-المراجع باللغة الانكليزية

-The Economic History of Middle East 180-1914,.(1966). Edited by: Charles Issawi ,Chicago

- Gerer ,Johan Mar‹.(1966). Commercial statistics hand craft to market.(The Economic History of Middle East (1800-1914) , Edited by: Ch. Issawi,Chicago

-Hansen‹B.(1974). An economic model for ottoman Egypt . the Islamic middle East . 700 - 1900; Studies in Economic and social History‹By; A.L . Udovitch‹ New York

-Hamide Abdul Rahman .(1959). Le rigionde de Allep etude de geoegraphie rurale, Parise

-Issawi‹CH.(1978) Egypt‹Iran and Turky‹1800-1970: Patterns of Growth and Development.In:(regional and International Disparities) in 'Economic Development since the Industrial Revolution '.Ed.by P.Bairoch and Levy Leboyer. Geneve

- Isswi‹CH. (1980).The Middel East in The World Economy; A Long Range historical view‹Washengton

- Issawi‹CH.(1982).The Economic History of Middle East and North Africa,London

- Kormus, Orhan,. (1978). the ottoman famine‹ and its effects on the Ottoman Empire. The Ottoman Empire and world economy‹ New York

-Moshe‹ Maoz.(1968). Ottoman form in Syria and Palestine. 1840 – 1861‹ Oxford

- Richard‹Alan‹n.(1978). Primitive a accumulation in Egypt(1748-1882) ;The Ottoman Empire and World Economy.Ed.by Huri Islamoglu Inan‹New York

- Roymond.A.(1973).Aartisans et comercants du Caire au XIII e siècle vol.1‹Dammas

- Volney. M.C.F. (1887). travels through Syria and Egypt in the year 1782- 1784 ،London

-Warriner، Doreen.(1955). Land reform and development in the middle East At study of Egypt ، Syria and Iraq،New York